تابع لأصالة المنهج في سيرة الملك عبد العزيز

أصول المنهج وثوابته:

يعتمد بقاء الحضارات وسيادة الأمم - كما هو معروف - على أصالة المنهج وصلاحه واستمراره، وينفرد المنهج الإسلامي بخاصية الاستمرار والخلود فلا تتغير أحكام الشرع الأساسية وثوابته بتغير العصر، وقد أقام الملك عبد العزيز رحمه الله منهجه على أسس ثابتة مستمدة من الكتاب والسنة وهي:

الأصل الأول - عقيدة التوحيد:

وهي أصل الدين ومبعث الخير ومناط التوفيق، فلا يعبد في أرض الله إلا هو سبحانه، ولا يحكّم في عباد الله إلا شرعه، ولا يكون الولاء والبراء إلا على هذا المبدأ الأصيل والأساس الركين، ولا تستقيم مسارات الحياة كلها إلا وفق معطيات الدين الحنيف فهو دين كامل شامل، فيه العقيدة والشريعة والأخلاق، والشريعة تتضمن العلاقات الدولية، وتحث على الخير والأمن على نحو تتجاوب له الفطرة وتتناسق مع هديه متطلبات كل عصر.

كان الملك عبد العزيز رحمه الله يستشعر هذا المعنى العظيم للتوحيد، ويعرف ما تتسم به الشريعة من الشمولية والخلود، وما تثمره هذه العقيدة الخالدة من خيري الدنيا والآخرة، وما ينعم به المتمسك بالتوحيد الداعي إليه الذاب عنه من أسباب التمكين والتوفيق.

كان يدرك ذلك وهو يؤسس هذا الكيان الإسلامي الكبير على أساس العقيدة، وكان ذلك من نعم الله عليه وعلى شعبه وهو معنى كريم من معاني الأصالة التي أقام عليها منهجه، فها هو يقول في وضوح وجلاء:

"إنني والله لا أحب إلا من أحب الله حبا خالصا من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمني أن أكون ملكا أو فقيرا، والله ثم والله إني لأفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض وأعبد الله وحده من أن أكون ملكا على سائر الدنيا وما فيها"١.

وقال: "والله ثم والله إن العجوز القابعة في وكرها والتي لا تملك من الثياب إلا الأطمار البالية وهي تعبد الله وحده عبادة خالصة هي أحب إلى قلبي من أي إنسان بلغ من العظمة والشأن ما بلغ إذ لا يؤمن بالله إيمانا صادقا خالصا، ولا يعمل بما جاء في كتاب الله"٢.

وهذه الكلمات المنيرات تبين عن الإيمان العميق بالله، والقناعة الراسخة بعقيدة التوحيد، وأنه لا يعبد إلا الله وحده وأن ذلك هدف المسلم في حياته وهو معنى وجوده في الحياة كما قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}**. [الذاريات: 56].

وهذه العقيدة التي هي أساس الإسلام ومبناه، هي واضحة جلية بينة لا لبس فيها ولا عوج، وهي ما نزل به الكتاب المبين وبينته السنة المطهرة، وصدع به جميع الأنبياء والمرسلين ولا يستطيع أحد من المسلمين إنكار ذلك!.

ونستقي من هذا أن أساس منهجه عقيدة راسخة ومبدأ ثابت عليه تبنى كل مسالك الحياة، وهي مرد كل نازلة.

قال رحمه الله بخطبة له بمكة: "أنا بذمتكم وأنتم بذمتي، إن الدين النصيحة أنا منكم وأنتم مني، هذه عقيدتنا في الكتب بين أيديكم فإن كان فيها ما يخالف أمر الله فردونا عنه، واسألونا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة"٣.

وهذا هو غاية الإنصاف، فالمسلمون جميعاً رئيسهم ومرؤسهم ينبغي أن ينقادوا للحق وأن يتواصوا به وأن يكون ذلك مصدر اعتزازهم واجتماعهم.

ولقد بين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أصل الدين وأهميته وأثر الاستمساك به، ومضت على ذلك أجيال من سلف الأمة خلت منذ فجر البعثة المحمدية.

فمن معطيات الدين ومقرراته وثوابته مما يستدل به من عشرات الأدلة:

أن الله تعالى لا يقبل ديناً سوى دين الإسلام، قال تعالى: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**. [آل عمران:85].

وقال: **{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}** [آل عمران: 82].

وقال: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ}** [آل عمران19].

وأن الإسلام مبناه وأساسه توحيد الألوهية بأن لا يعبد إلا الله ولا يصرف شيء من أنواع العبادة إلا له جل وعلا عما يقول الظالمون علوا كبيرا، قال تعالى: **{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}** [الزمر: 66].

وفي عهد مؤكد يقطعه المسلم على نفسه أكثر من سبع عشرة مرة في اليوم، وهو يقول في صلواته **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**. [الفاتحة: 5].

وإن جميع الرسل إنما دعوا إلى هذا المبدأ العظيم والهدي القويم قال تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** [البينة: 5].

---

١ مع عاهل الجزيرة العربية ص 19 والملك الراشد ص 366.

٢ المرجع السابق ص 20.

٣ الوجيز ص 217.

وهذه كلمة التوحيد لا إله إلا الله نسمع صداها عبر أحقاب التاريخ في دعوة كل رسول ينادي بها، ويدعو إليها، ويجاهد في سبيلها، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: 25] وقال جل ذكره: **{يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ}** [النحل:2].

وأن عبادة الله سبحانه هي الهدف من خلق الثقلين، قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: 56] بل إن هذا الكون بما فيه ومن فيه لم يخلق إلا لهذا الهدف العظيم والمقصد الجليل، قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ}** [ص: 27].

وأن التوحيد هو الذي من أجله جردت سيوف الجهاد وبذلت النفوس والأرواح قال تعالى: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** [الأنفال: 39] ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"٤.

وأن تحقيق التوحيد مناط الفوز بسعادة الدنيا ودار الكرامة في الآخرة، قال تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}** [الأنعام: 82] وهو الأمن بكل صوره وأشكاله في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}** [الكهف: 110] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة"٥.

وأن ترك التوحيد - والعياذ بالله - ضلال مبين، قال تعالى: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}** [الأحقاف: 5] ونقيض التوحيد الشرك وهو سبب كل شقاء وبلاء، قال تعالى: **{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}** [المائدة: 72] وقال: **{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}** [الحج: 31].

وليس المقام هنا مقام إطناب وحسبنا هذه الإشارة ففيها غنية عن بسط العبارة.

وكما عرف الملك عبد العزيز بأصالته في تمسكه بالعقيدة، عرف بأصالته - أيضاً - وحصافته في الذب عنها والدعوة إليها بالأسلوب الحكيم والنهج القويم.

فها هو يبين للناس مبدأ العقيدة ومنهج الاعتدال الذي يدين به وينهجه كل مسلم سوي، ويذكر المسلمين بسلفهم الصالح ويذكرهم مع ذلك بأهمية وأثر العقيدة في الاستقرار والأمن والحضارة والتحصن من كل ما يكدر الحياة من مشكلات ومن كل ما يقعد به عن معالي الأمور:

قال الملك عبد العزيز في خطاب ألقاه في حفل أقيم بالقصر الملكي في مكة المكرمة في غرة ذي الحجة 1347هـ/ 11 مايو أيار 1929م قال:

"يسموننا ((بالوهابيين)) باعتبار أننا أصحاب مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا، هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل وخالصة من كل شائبة منزهة عن كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن"٦.

ونستشف مما سبق:

أن عبادة الله تعالى وحده، وهو ما يعرفه العلماء بتوحيد القصد والإرادة، وتوحيد العبادة والألوهية هو أصل الدين، بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية٧ وقد اتفق على ذلك علماء المسلمين في كافة العصور.

وأن من لوازم هذه العقيدة (الوسطية والاعتدال) وهي سمة أهل السنة والجماعة لم يخالفهم فيها إلا أهل البدع والأهواء كالخوارج ونحوهم٨.

ولو استقرأنا أحوال المسلمين عبر التاريخ على اختلاف فرقهم لوجدنا أن خاصية التوسط والاعتدال مع التمسك بأصل الدين وأساسه وقاعدته وهو توحيد الله تعالى في ألوهيته ثم من بعد ذلك إقامة مسالك الحياة كلها وفق ذلك، مما اتسمت به عبر الأحقاب وفي كل الأجيال

---

٤ متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (25) ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (22).

٥ متفق عليه: رواه البخاري في كتاب العلم (129)، ومسلم في كتاب الإيمان (32)

٦ الأصالة والمعاصرة ص 40-41 لمعالي الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسي ط: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة، والملك الراشد ص 369 والوجيز ص 217.

٧ مجموع الفتاوى 2 / 72

٨ انظر في مذهب الخوارج: الفرق بين الفرق ص 72 فصل في بيان مقالات فرق الخوارج للبغدادي ط: دار المعرفة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

الطائفة المنصورة.

لقد اعترى كثيرا من المسلمين على فترات من التاريخ الجهل بالدين فاندرست معالم السنن وظهرت البدع وصار ذلك رسما ينشأ عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، وكان من رحمة الله أن قيض أئمة مهديين يحيون موات القلوب بإقامة السنة وقمع البدعة ودعوة الناس إلى التوحيد بالبيان تارة، وبالسنان تارة أخرى، وكان منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن السادس الهجري وشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر، والأئمة من آل سعود ومنهم الملك عبد العزيز وإلى يومنا هذا.

إن العقيدة الإسلامية تنمي في المسلم نوازع الخير، وتثمر في حياته كل خير وبر ورشد، وفيما يلي مقتطفات من ثمرات هذه العقيدة التي دعا إليها واحتضنها وأسس عليها دولته الملك عبد العزيز رحمه الله:

أ - الإخلاص لله ثم النصح للمسلمين:

ذلك أن العودة بالحياة الإسلامية إلى ما كانت عليه إبان فجر البعثة المحمدية، خالية من البدع والخرافات وكل ما أدخل في الدين مما ليس منه، والمجاهدة في سبيل تحقيق ذلك هو لب الأصالة وموئل الشرف، وكان ذلك ديدن الملك عبد العزيز رحمه الله.

قال التاريخ: وفي تموز سنة 1924 م صرح ابن سعود لوفد علماء الهند التصريحات التالية، قال: "أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شئ. وأن عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، وشعائرنا هي شعائرهم، وأننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم وللسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحادنا قويا متينا، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعا تاما لأحكام القرآن والسنة"[٩].

وهذه الكلمات المنيرات تعيد إلى الأذهان ما كان عليه الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون من نقاء السريرة وحسن السيرة، وصفاء العقيدة من كل شوب، مع بعد النظر وسداد الرأي، وأن الحاكم المسلم الورع التقي إذا أعمر ما بينه وبين الله تعالى وفقه الله لكل خير وجعله رحمة لشعبه وأمته، وإماما يقتدي به الأئمة في كل مجالات الخير، والمسلمون أجمعون مطالبون بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه رضي الله عنهم والأخيار ممن جاءوا من بعدهم وهم السلف الصالح الذين لا ينقطع حبلهم ولا تنفصم عروتهم.

وليس هذا المرقى الإيماني السامق بغريب من الملك عبد العزيز أكرم الله مثواه، فهو يذكّر أن هذه العقيدة التي هي أساس الإسلام ومبناه هي واضحة جلية بينة لا لبس فيها ولا عوج، وهي ما نزل به الكتاب وبينته السنة، وصدع به جميع الأنبياء والمرسلين ولا يستطيع أحد إنكار ذلك!

وهو رحمه الله بمنهاجه الأصيل هذا امتداد للأصل الثابت من آبائه الميامين، وتأمل كلمات ومواعظ سلفه مما وعته ذاكرة التاريخ.

فمن المواعظ الجامعة للإمام تركي بن عبد الله المتوفى سنة (1249 هـ) وكان من حفظة القرآن الكريم منذ صغره، قال رحمه الله:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. من تركي بن عبد الله إلى من يراه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: موجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن أحوالكم والنصيحة لكم والشفقة عليكم والمعذرة من الله الذي ولاني أمركم والله المسئول أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر، والله تعالى يقول:

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7]

فالذي أوصيكم به تقوى الله في السر والعلانية، قال الله تعالى: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}** [النور: 52].

وجماع التقوى أداء ما افترض الله وترك ما حرم الله، وأعظم فرائض الله بعد التوحيد الصلاة، ولا يخفاكم ما وقع من الخلل بها والاستخفاف بشأنها وهي عمد الإسلام، الفارقة بين الكفر والإيمان، من أقامها فقد أقام دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهي آخر وصية كل نبي لقومه وهي آخر ما يذهب من الدين، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وبعض الناس يسئ في صلاته، وأحدهم يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده أو في نخله هو ورجاجيله والمسجد جار له، وفي الحديث: "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد"[١٠] (وهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرق على المتخلفين بيوتهم بالنار لولا ما فيها من النساء والذرية)[١١].

---

٩ ابن سعود - ص 155: كنث وليمز ط: 1352ه / 1934 م، والملك الراشد ص 50 مرجع سابق

١٠ هذا الحديث مشهور لكني لم أجده في الصحاح الستة وقد أورده السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص 206. باب (ل)، وضعفه الألباني في ارواء الغليل 251/2 حديث رقم (491) ط: المكتب الإسلامي، وقال ابن قدامة في المغني: لا نعرفه إلا من قول على نفسه، كذلك رواه سعيد في سننه، والظاهر أنه إنما أراد الجماعة، وعبر بالمسجد لأنه محلها، ومعناه: لا صلاة لجار

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق" ١٢ وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها".

[ثم ذكر رحمه الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب الزكاة وحرمة الربا وبيع العينة والتطفيف في المكاييل والموازين، في موعظة جامعة قال في آخرها]:

"وأنا أشهد الله عليكم أني برئ من ظلم من ظلمكم وأنا نصرة لكل صاحب حق وعون لكل مظلوم، **{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [آل عمران: 103] وأعزكم بعد الذلة، وجمعكم بعد الفرقة، وكثركم بعد القلة، وأمنكم بعد الخوف، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم والسلام"١٣.

رحم الله الإمام ((تركي)) ورفع درجته في عليين، فلقد كان إماما ورعا تقيا نقيا، لقد صدق والله وبرّ، وما أعظمها من كلمات منيرات: "وأعزّكم بعد الذلة، وجمعكم بعد الفرقة، وكثركم بعد القلة، وأمّنكم بعد الخوف، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم والسلام!".

ونموذج آخر من مواعظ الإمام فيصل بن تركي، المتوفى سنة (1282هـ): "بسم الله الرحمن الرحيم.. من فيصل بن تركي إلى من يصله هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن أجمع الوصايا وأنفعها: الوصية بتقوى الله تعالى، قال تعالى: **{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ}** [النساء: 131] وتقوى الله: أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله، ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة وهي دين الرسل الذين بعثوا به وهو مبدأ دعوتهم لأممهم، وهو معنى كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله، فإن مدلولها نفي الشرك في العبادة، والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: **{فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}** [الزمر: 2-3].

وقد بين الله تعالى معنى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات، قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}** [الزخرف: 26] فهذا معنى لا إله، وقوله **{إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}** فهو معنى إلا الله، وقد عبر عنها بمعناها من النفي والإثبات، قال تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}** الآية.

والآيات في توحيد العبادة أكثر من أن تحصر.

وهذا التوحيد هو الذي جحدته الأمم المكذبة للرسل، قال تعالى: **{أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}** [الأعراف: 71] وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة، قال تعالى: **{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ}** الآية [إبراهيم:9] وأما مشركو العرب فأخبر الله عنهم أنهم قالوا: **{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}** [سورة ص: 5]".

[ثم استطرد الإمام في سوق الأدلة إلى أن قال]:

"فيا من يدعي معرفة هذا التوحيد اعرف هذه النعمة وقدّرها فإنها أعظم نعمة أنعم الله بها على من عرفها وأحبها وقبلها وعمل بها وألزمها، فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالإعراض عنها، واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك، واعلموا أنه قد غلط في هذا طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة، فما حصل لهم من العلوم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه، وقلدوا أسلافا **{قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}** [المائدة: 77] فيالها من مصيبة ما أعظمها وخسارة ما أكبرها فلا حول ولا قوة إلا بالله) إلى آخر كلامه رحمه الله"١٤.

ومواعظ وخطب الأئمة في الحقيقة درر في التاريخ الإسلامي، وفي تاريخ الدعوة السلفية، وهي الزاد بعد القرآن والسنة فإنها من معينهما مستقاة، وكما أنها زاخرة ومفعمة بالروحانية والأصالة هي كذلك قطع أدبية راقية نستشف منها منهاج الحاكم المسلم وتقواه وورعه وخطته السياسية، وأن الدولة المؤسسة على أساس العقيدة الخالصة كما قامت في القرون الأولى المفضلة، ها هي اليوم ننعم بظلالها ونتفيأ نعيمها، وكان من آثارها تلكم الحضارة الإسلامية الزاهية التي لا نظير لها في تاريخ الإنسانية، أمن مستتب، وعيش وارف، وتلاحم وولاء بين القيادة والشعب، وتناصر وتناصح..

إن الدين الحنيف صالح ولا زال وسيظل كذلك لتأصيل المناهج السياسية والاجتماعية والإصلاحية على معطياته، كما هو مشاهد في عهد الملك عبد العزيز والملوك الأماجد من أبنائه الميامين: سعود وفيصل وخالد وخادم الحرمين الشريفين فهد، وستظل كذلك إلى آخر الزمان، بل

المسجد إلا مع الجماعة،وقيل المراد به الكمال والفضيلة، فإن الأخبار الصحيحة دالة على أن الصلاة في غيره جائزة: المغني 3 / 9 تحقيق د. عبد الله التركي وزميله ط: 1407 ه / 1987 م القاهرة.

١١ متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأذان (644)، ومسلم في كتاب المساجد (651).

١٢ الحديث رواه مسلم في كتاب المساجد (654)، وأبو داود في كتاب الصلاة (463) ترقيم عزت دعاس، وابن ماجة في كتاب المساجد (777) ترقيم عبد الباقي، وأحمد في مسند المكثرين (3440) ترقيم الموسوعة الالكترونية (صخر).

١٣ عنوان المجد في تاريخ نجد 2 / 57

١٤ عنوان المجد 2 / 66 و2 / 172.

إن صلاح الدول ونهضة الأمة وصحوتها منوط بتمسكها بدينها القويم، وهديها المستقيم.
وعودة إلى سيرة الملك عبد العزيز رحمه الله وأصالة منهجه وعمق إيمانه بالله ومضاء عزيمته وهو من هو مكانة في القيادات الإسلامية التاريخية نلحظ أنه لم يحد عن منهجه.
فقد جاء في الوصية لولي عهده:
"تفهم أننا نحن والناس جميعا ما نعز أحدا ولا نذل أحدا، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا، ومن اغتر بغيره - عياذ الله - وقع وهلك، موقفك اليوم غير موقفك بالأمس.
ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:
أولا - نية صالحة، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتا خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك، تعبد إلى الله في الرخاء تجده الشدة، وعليك بالحرص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة، ولا يصح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق، وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه.
ثانيا - عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شئون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سرا وعلانية والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطنا وظاهرا، وينبغي أن لا تأخذك في الحق لومة لائم.
ثالثا - عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة وفي أمر أسرتك خاصة، اجعل كبيرهم ولدا وأوسطهم أخا وصغيرهم ولدا، وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم انصح لهم، واقض لوازمهم بقدر إمكانك، فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فابشر بالخير. وأوصيك بعلماء المسلمين خيرا، احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة، احفظ الله يحفظك"١٥.
ب عبادته وورعه وتقواه:
كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو قدوة المؤمنين في كل زمان أعبد الناس وأخشاهم لله وأتقاهم، وكان يكثر من العبادة والتهليل والتسبيح، وكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فيقال له في ذلك فيقول: "أفلا أكون عبدا شكورا"١٦.
ومقام العبودية لله تعالى أشرف المقامات وأجلها وهو من لوازم التوحيد.
وعلى هذا السنن مضى خلفاؤه الراشدون وأصحابه المهديون، ثم جاء من بعدهم الأئمة الذين سلكوا سبيله، واجتهدوا ما وسعهم إلا اتباع سنته في كل جيل، وكان منهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.
قال التاريخ عنه أنه كان رحمه الله يحيي غالب الليل قائما يصلي ويتهجد ويقرأ القرآن١٧.
وكان رحمه الله تعالى من الرأي والفراسة والتدبير ما ليس لغيره، وكان كثيرا ما يلهج بقوله تعالى: **{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [الأحقاف: 15].
وكان قد ثقل آخر عمره فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام في الصف وله من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة١٨.
وعلى هذا المنهاج النبوي في العبادة وتزكية النفس تتابع الأئمة من آل سعود أكرم الله مثواهم، ومن ذلك مما وعته ذاكرة التاريخ:
أن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، المتوفى سنة 1218ه كان كثير الخوف من الله والذكر، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم.. قال ابن بشر: "وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس ويصلي فيه صلاة الضحى، وقد ذكر لي بعض من أثق به أنه كان يكثر الدعاء لهم في ورده، قال وسمعته يقول: اللهم ابق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها ولا يحيدوا عنها"١٩.
وقال التاريخ في سيرة الملك عبد العزيز: "اعتاد أن يستيقظ قبل الفجر بنحو ساعة فيقرأ سورا من القرآن الكريم ويتعبد ويتهجد وكثيرا ما يسمع له نشيج، ويستمر إلى أن يؤذن الفجر فيصلي الصبح مع الجماعة ويسبح ويقرأ ورد الصباح ويدخل فيضطجع إلى أن تشرق الشمس، وينهض فيغتسل ويلبس ثيابه ويفطر ثم يخرج إلى المجلس الخاص فتعرض عليه مهام الحكومة في فترة غير طويلة، يأذن بعدها بالمقابلات الخاصة لكبار الزوار، ثم ينتقل إلى المجلس العام، حيث يدخل كل من يريد مقابلته ويمكث نحو ساعة، فإذا اقترب وقت الظهر نهض إلى مجلسه الخاص فيعرض عليه ما تجدد من الشئون العامة إلى صلاة العصر، ويجلس بعدها لإخوانه وأولاده وأقاربه وكبار الموظفين، ثم يخرج بسيارته إلى ظاهر المدينة للرياضة، ويعود بعد صلاة المغرب،

---

١٥ الوجيز ص 158 – 159.
١٦متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجمعة (1130)، ومسلم في كتاب صفة القيامة (2819).
١٧ تاريخ نجد 84/1 لحسين بن غنام.
١٨ عنوان المجد 1 / 95
١٩ عنوان المجد 1 / 126

وبعد العشاء يجلس في مجلس شبه عام وهناك يحضر القارئ فيتلو فصولا من كتب مختلفة، وبعد قليل يدخل قارئ الإذاعة العربية فيتلو ما التقط من محطات الإذاعة الشرقية من متنوع الأخبار.. وفي نحو الساعة الرابعة عربية (العاشرة زوالي) مساء ينفض المجلس بنهوض الملك عائدا إلى داخل القصر بعد أن يتلطف بكلمات يختمها بتحية الجميع: السلام عليكم٢٠.

ويذكر معاصروه بعض أحواله في التعبد والتبتل حال سفره فيقول: ".. وفي صبيحة يوم السبت الموافق 5رجب [1345هـ] نهضنا من النوم وكان الليل مظلما والسكون سائدا ونسيم الصبا يهب هبوبا قارسا، وكان أول شيء طرق مسامعنا صدى صوت رخيم يخالط ذرات الهواء وهو يختلج في ذلك السكون، فدنوت مستقصيا عن مصدر هذا الصوت لما فيه من الرقة والعذوبة والخشوع في آن واحد، فلما قربت منه علمت أنه جلالة الملك يقرأ القرآن كما هي عادته في كل صباح قبل طلوع الفجر، وكان جلالته يتلو القرآن تلاوة يتخللها بكاء بخشوع عند قراءة آيات الترهيب خوفا من الله عز وجل، فمما لا ريب فيه أنه ليس هناك إنسان يسمع هذا الصوت بخشوع وقلبه يشعر إلا وعينه تدمع لمجرد سماع هذه القراءة الصادرة من ثغر ملك عظيم، ملأت عدالته جزيرة العرب من مشرقها إلى مغربها"٢١.

وقد رأينا فيما سبق ما جاء في وصيته لولي عهده وفيها: "وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتا خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك، تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق، وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه"٢٢.

ويتبين من هذه المقتطفات من عبادته وتقواه - وهي مظهر من مظاهر الأصالة - أنه كان في ذلك يترسم منهاج السلف، فلم تكن العبادة منحصرة عندهم في الشعائر التعبدية الظاهرة كالصلاة والزكاة فحسب، بل تشمل ذلك وتشمل معه كافة مسالك الصلاح والإصلاح.

ولم يكن التبتل والإخبات ساعات أداء الصلوات المفروضة فحسب، بل كان سمة لازمة تكلل حياتهم كلها بالتوفيق والسداد، لأن العقيدة الخالصة المبنية على مبدأ الإخلاص والتوحيد ليست إيمانا راسخا فحسب، بل هي مع ذلك عمل صالح يحفزه قلب منيب وضمير حي.

ج – طرف من أخلاقه:

من أبرز ما يشد المتأملين في أخلاق الملك عبد العزيز وهو سليل بيت أصيل عرف بالخلق الكريم:

(بره بأبيه) وكيف لا يبر عبد العزيز بأبيه وهو داعية التوحيد،وهو يعلم أن البر بالوالدين مقرون بالتوحيد في التنزيل الحكيم، ولقد كان بر الملك عبد العزيز بأبيه الإمام عبد الرحمن الفيصل آية يندر مثالها في سير الملوك..

يحدثنا التاريخ عن هذا الجانب المشرق من أخلاق عبد العزيز الملك الإنسان فيقول: "بعد عودة جلالته من مكة المكرمة إلى الرياض كنت أرى جلالة الملك تأدبا مع أبيه، يقف على الباب قبل الدخول يصلح من عقاله ويرتب ثوبه، فيدخل بكل أدب وخشوع حتى وصل والده فقبله بين عينيه وجلس بين يديه بكل احترام وإجلال، ثم قدم لجلالة والده بعض رجال حاشيته، وطفق يسأل والده عن صحته وراحته وهو متيقظ بكل بادرة تبدو من أبيه ليأمر بالإسراع في إنفاذها، أقمنا قليلا في المجلس نسمع حديث الإشفاق والتحنان يتداول بين الولد وأبيه ثم خرجنا من المجلس وتركناهما يتناجيان.

هذا ما استطعنا وصفه من المشهد، وأما ما كان يدركه الوجدان من حس العطف الأبوي وخفض جوانح الذل من الرحمة في الولد فهذا ما نعجز عن وصفه، وانه لخلة في جلالة الملك وعلو في نفسه أن يرى الناس فيه - وهو الآمر الناهي في ملكه - هذا الانقياد والطاعة لأبيه، وإنها لمنزلة من الرضوان حق له أن يفاخر بها، وحق على باقي أفراد الرعية أن يتأسوا بتواضعه"٢٣.

فهذه العلاقة بين الأب وابنه التي ذكرها حتى الغربيون بشيء كثير من الإعجاب ٢٤ كانت نابعة من الأصالة التي غرسها الإسلام في أبنائه، فعبد العزيز في غمرة النصر وفي نشوة الغلبة والحكم وحتى بعد أن أخضع سائر خصومه واستتب له الأمر ظل بارا بوالده خافضا له جناح الذل من الرحمة كما أمر القرآن الكريم، وهذا نموذج في الحكام قليل بل نادر.

وتتبدى أصالة عبد العزيز كثيرا في سيرته الميمونة في هذا الخلق العظيم، قال الزركلي تحدث فلبي عن أول مرة رأى فيها الملك عبد العزيز سنة 1333هـ [1915م] فقال ما خلاصته: "دخلت الرياض يصحبني الكولونيل كانليف أوين، وجندي يخدمنا وقد ارتدينا الملابس العربية وكان في استقبالنا إبراهيم بن جميعة فدخل بنا القصر إلى غرفة كان فيها شيخ ضئيل الجسم في نحو السبعين من عمره، سلمنا عليه ودعانا إلى الجلوس وجئ بالقهوة، وهو يسأل عن أحوالنا

---

٢٠ الوجيز ص 181 - 182

٢١ الرحلات الملكية: د. مدحت شيخ الأرض ص87 ط: دارة الملك عبد العزيز 1416ه الرياض.

٢٢ انظر ص335 من هذا البحث.

٢٣ الرحلات الملكية د. مدحت شيخ الأرض ص 132.

٢٤ فيلبي في كتابه تاريخ نجد ص 279 ، وكنث وليمز في كتابه ابن سعود ص 49 وغيرهما.

ويلاطفنا، قال فلبي: وبينما كنت أقول في نفسي من هذا؟ وأين ابن سعود؟ إذا بالشيخ ينهض متمهلا ويقول: مرحبا بكم، حديثكم مع الابن عبد العزيز.. وما كاد يتوارى حتى انتصب من زاوية المجلس عملاق أقبل علينا فعرفنا أنه سيد الجزيرة، وكان منطويا على نفسه في حضور أبيه، وكأن عيني لم تقع عليه"٢٥.

ومثل هذه الأخلاق لا تبدر إلا من ذوي الخلق العظيم والحظ العظيم.

وكان رحمه الله يقول: "رحمة الله على والدي لقد كان يعاملني كأنني أنا الوالد وهو الولد، وما رأيت قط كهذه بين الآباء والأبناء أو بين الإخوة والأقربين"٢٦.

ومن لطائفه المؤثرة التي تستأهل وقفات ووقفات للتأمل والاتعاظ بأخلاق عبد العزيز الإنسان المسلم أنه دخل على أبيه الإمام عبد الرحمن في الرياض فقبل يديه وتزود بدعائه ورضاه، واحتشد من في الرياض لوداعه فكان مما قال: "إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع" وكان سفره من الرياض على الذلول يوم 13ربيع الثاني 1343هـ٢٧.

ومن أخلاقه لينه وتواضعه لشعبه، ومن حق جيلنا أن يعرف أصالة الأخلاق التي تبوأها الملك عبد العزيز، والأخلاق في كل أمة وفي كل جيل هي معيار الأصالة ومقياس الصلاح والتقوى.

يقول المستشرق فلبي بعد أن ذكر الشورى وتلاحم الشعب بقيادته: ".. ويعود الفضل في ذلك بالطبع لابن سعود إذ أنه لم يقطع الاتصال برعاياه مهما سبب له ذلك من إزعاج، لا فرق بين الكبير والصغير، والغني والفقير، كان يستمع إلى شكاواهم ويساعدهم في التغلب على مصاعبهم، وكان هذا طبيعة فيه تلازمه، وإنه لمن المدهش حقا أنه استطاع بالرغم من مشاغله العظيمة والمزعجة أن يجد متسعا من الوقت يقوم فيه بتأدية هذه الآلاف المؤلفة من المساعدات البسيطة أو يفكر فيها، هذه المساعدات التي حملت الكثيرين من الناس بعد وفاته على أن يمجدوا ذكراه ويترحموا عليه، فلقد كرس حياته لخدمة الآخرين، وربما كان هذا هو السبب الذي جعله لا يكل جزءا من هذه الأعباء التي يحملها على عاتقه طول حياته لأخلص مستخدميه وموظفيه"٢٨.

وكثيرا ما نقرأ في سيرة الملك عبد العزيز وكثيرا ما نسمع من كبار السن الذين عاصروه أنه كان يناديه أفراد شعبه باسمه المجرد وكان أحدهم يقول يا عبد العزيز! ويرفع مظلمته ويعرض حاجته وهو في موكبه الملكي فيقف وينصت ويأمر ويوجه، وهذه في الحقيقة أخلاق لا تصدر إلا من مشكاة النبوة يتمثلها الحاكم المسلم الورع فيزداد قربى من الله وزلفى ويزداد في أعين شعبه تألقا ورفعة.

ومما يدل على كرم معدنه وأصالته أن كان يقوم بمسئوليته الجسيمة في إدارة دفة الحكم وتصريف شئون الدولة بتفان وإخلاص عظيمين ولو على حساب صحته، وهذا ما دفع المستشرق الإنجليزي فلبي إلى القول: "إنها هنات مزايا رجل عظيم، رجل عظيم لا يضاهيه أحد في منطقته مخلص في دينه وصادق وغيور على سمعته واسمه وخير شعبه، لهذا فإنه لم يثق بأي من موظفيه ورعيته في أن يخدمه بالغيرة والكفاءة اللتين أظهرهما هو في خدمتهم، وكثيرا ما كان يردد القول المعروف: كبير القوم خادمهم"٢٩.

وعلى الجملة فإن الله تعالى لحكمة يريدها وهب عبد العزيز من الخصال الفريدة المتكاملة ما جعله بها إماما تجتمع عليه القلوب، وتتناهى إليه المكارم وتهتف بقيادته الراشدة ربى المملكة شرقها وغربها وشمالها وجنوبها.

وهذه الخلال الفريدة والخصال الحميدة هي في أصالتها لمما يغرسه الإسلام في أبنائه فتكون أخلاقهم متناسقة مع الفطرة متجاوبة مع الطبيعة البشرية السوية بعيدا عن الشطط والتقلب.

يقول العقاد: "إذا عرفت الملك عبد العزيز ثلاثة أيام فكأنك عرفته ثلاث سنوات أو لازمته في أطول الأوقات، لأن هذا الرجل العظيم مطبوع على الصراحة ووضوح المزاج، لم تشتمل نفسه القوية على جانب من جوانب الغموض التي يحدث منها اختلاف الحالات وتناقض العادات، فهو في أخلاقه وأعماله ومألوفاته يمضي على وتيرة واحدة ولا يواجه عارفيه في حالتي رضاه أو غضبه بخليقة لم تكن لهم في الحسبان"٣٠.

الأصل الثاني - تطبيق الشريعة:

من الأسس الجديرة بالدراسة والتنويه (تطبيق الشريعة الإسلامية) وهو سبب قوة المسلمين وعزهم ونصرهم، وبه تكفل حقوق المسلم بل حقوق الإنسان أينما كان لأن الشريعة نظام شامل كامل.

---

٢٥ الوجيز ص 367.

٢٦ مع عاهل الجزيرة ص 54.

٢٧ الوجيز ص 86

٢٨ تاريخ نجد - فلبي ص 400 – 401.

٢٩ تاريخ نجد ص 404

٣٠ مع عاهل الجزيرة ص 51.

جاء في الموسوعة العربية العالمية: "اختارت الدولة السعودية في عهد الملك عبد العزيز شكل وشعار الدولة وعلمها الحاليين، وقام دستور الدولة على القرآن ويقوم الحكم فيها على تطبيق أحكام الشرع الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما أثر عن الصحابة وتابعيهم بإحسان وما عليه الأئمة الأربعة وصالح سلف الأمة، وتطبق الدولة في المعاملات والأحوال الشخصية المشهور من مذهب الحنابلة" ٣١.

لقد كان تحقيق العدل ونشر التعليم وإنفاذ الأحكام الشرعية وبسط رواق الأمن ديدن الملك عبد العزيز وهاجسه وهو يرنو ببصره إلى امتداد رقعة الوطن، فقد أرسى قواعد القضاء الشرعي، وأمر بإعداد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشكل مجلس الشورى، ونشر مدارس للتعليم على طول رقعة البلاد وعرضها، وأمر بتوطين البدو وإقامة الهجر، وأمر باتخاذ كل وسيلة عصرية في تحقيق ما يصبو إليه، كل ذلك وغيره لتتضافر أجهزة الدولة على إرساء العدالة ومحاربة الجهل والمرض والفقر.

قال رحمه الله: "إن خطتي التي سرت عليها - ولا أزال أسير عليها - هي إقامة الشريعة السمحة، كما أنني أرى أن من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف"٣٢.

ومن سيرته مع شعبه قوله رحمه الله بعد أن استتب له الأمر في الحجاز في بلاغ عام:
"من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإني أحمد الله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأهنئكم وأهنئ نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم، وأرجو من الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبعي هداه [إلى أن قال] لقد مضى يوم القول ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع مرضاته والحث على طاعته، فإنه من تمسك بالله كفاه ومن عاداه والعياذ بالله باء بالخيبة والخسران، إن لكم علينا حقوقا ولنا عليكم حقوقا، فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة والمسلم مرآة أخيه، فمن رأى منكم منكرا في أمر دينه أو دنياه فلينا صحنا به فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول منا إن شاء الله للجميع على السواء.."٣٣.

ومن هذا البلاغ التاريخي يُستشف شمولية المنهج الذي تحض عليه الشريعة الغراء وتأمر به، وأن القرآن العظيم والسنة المطهرة من الشمولية والعمق بحيث يستوعبان أحداث كل عصر ومصر، نصا أو استنباطا أو قياسا أو اجتهادا على نحو ما يفصله علماء أصول الفقه، وقد كان فقه هذه الشمولية في عقل الملك عبد العزيز وقلبه وهو من هو في خدمة الشرع.

يقول الزركلي: "كان الملك عبد العزيز كلما سئل عن دستور بلاده أجاب: دستورنا القرآن وهو يعني تقيده هو ومملكته بأحكام الشرع الإسلامي المستمدة من معاني القرآن، وما لم يكن فيه فمن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله، وما لم يكن فيهما فمن قضاء أصحابه وسيرتهم، وما لم يكن فمن نهج أهل العدل والعقل والسيرة الحسنة من سلف الأمة، وما لم يكن ففي النظم ما قد يقوم مقام التشريع"٣٤.

وجوانب الإصلاح التي تحض عليها الشريعة كثيرة لا يتأتى حصرها في هذا المقام مما حفلت به سيرة الإمام الملك عبد العزيز كالتنظيمات الداخلية للدولة، وعلاقاتها الخارجية، وأقتصر في هذا المقام على بعض تلك الجوانب ومنها:

1 العلم والتعليم:

"وجه الملك عبد العزيز عنايته واهتمامه بالتعليم ففتح المدارس النظامية والمعاهد، ووزع الكتب الدراسية، ووزع مساعدات مالية على الطلاب تشجيعا لهم على مواصلة تعليمهم، واستقدم المدرسين من خارج البلاد، وأرسل البعثات إلى الخارج، وأسس المكتبات العامة، وشجع طباعة الكتب وبخاصة الكتب الدينية والكتب التي تفيد في تدريس اللغة العربية وفهمها ووزع كل ذلك دون مقابل"٣٥.

لقد واكب العلم والتعليم مسيرة البناء منذ فجر الدعوة الإصلاحية، وعلى سبيل المثال ففي أيام الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود (ت 1229هـ) وهو من تلاميذ شيخ الإسلام كان يقرأ في مجالسه تفسير ابن جرير الطبري، وابن كثير، ورياض الصالحين، وصحيح البخاري، وغيرها من كتب العلم٣٦.

وعلى هذا المنوال كان باقي الأئمة رحمهم الله.

وفي الحقيقة فإن العلوم الشرعية على تعدد أبوابها واختلاف مدارسها يجب أن يتصدى

---

٣١ الموسوعة العربية العالمية 16 / 96.
٣٢ الوجيز ص 215
٣٣ الوجيز ص 189.
٣٤ الوجيز ص 90
٣٥ الموسوعة العربية العالمية 16 / 96.
٣٦ عنوان المجد 1 / 171 – 172.

لها فريق من الأمة تعلما وتعليما كما قال تعالى: {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122] ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"٣٧.

وأيضا فإن قدرا من العلوم الشرعية لا يسع المسلم جهله مما هو معدود في الثقافة الشرعية يجب أن يتعلمها العامي ليؤدي فرائض دينه ويعرف الحلال والحرام ويقوم بالحقوق والواجبات تجاه الآخرين، لا سيما علم التوحيد والعقيدة وفي هذا يقول ابن بشر: "إن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فن المطاوعة خاصة، بل البحث عنها أوتعلمها فرض لازم على العالم والجاهل، والمحرم والحل والذكر والأنثى"٣٨.

وهذا الأمر في الحقيقة جدير بأن يهتم له كل معلم ومربي وداعية وسائس وغيرهم من علماء المسلمين وولاتهم وعامتهم.

وقد نبه إلى ذلك أهل العلم كما في قول الشيخ محمد رحمه الله في مفتتح كتابه الأشهر الأصول الثلاثة: "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل (الأولى) العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. (الثانية) العمل به. (الثالثة) الدعوة إليه. (الرابعة) الصبر على الأذى فيه.." إلى آخر كلامه رحمه الله.

وسيرة الملك عبد العزيز رحمه الله حافلة بالعلم والتعلم والتعليم، فإن مجالسه العامرة لم تكن لتخلو من العلماء ومن المسائل العلمية التي كانت تحظى باهتمامه في مجالسه، وكانت نفسه الكبيرة تتوق إلى مزيد من العلم، فها هو يقول: "إن الحروب شغلتني عن التبحر في العلوم والتوسع في الدراسة، أما الذي استوفى نصيبه منها فهو هذا، ويشير إلى سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن أخي جلالته حيث كان في مجلسه بجواره"٣٩.

وهذا تواضع منه رحمه الله وإلا فإن مداومته للاستماع إلى الكتب تقرأ بين يديه أزمنة مديدة ومناقشاته العلمية تركت في شخصه الكريم - ولا شك - آثارا علمية مرموقة.

يقول ابن مانع: "وكانت معرفة الملك بالدين وإخلاصه للإسلام من الأمور التي جعلته يعتبر من أعظم قادة المسلمين عبر التاريخ، وكان قادرا على شرح القرآن وتفسيره بطريقة ممتازة مفهومة لدى أبسط رجال البادية، وفي اعتقادي أنه قدم للعقيدة الإسلامية خدمة لم يقدم مثلها أي رجل في هذا الزمن"٤٠.

ويذكر معاصروه أن اهتمامه بالعلم كاهتمامه بالاطلاع على الأحداث التي تجري في العالم، فقد كان يصغي إلى فصول تقرأ بين يديه من كتاب أو معلومة يسمعها من أجهزة الإعلام، ولتحقيق ذلك بانتظام يتقيد بمواعيد حياته اليومية، وكان ذلك جزءا من برنامجه اليومي.

يقول العقاد: "وجلالته يبكر في الإفطار ويأمر بالغداء في الساعة الثانية عشرة ظهرا ولا يتأخر عشاؤه عن الساعة السادسة في المساء، ومواعيده في النوم واليقظة منتظمة في جميع المواسم والأوقات، فيستيقظ قبل الفجر ويقضي نحو ساعة في التهجد وقراءة القرآن ويصلي الفجر حاضرا، ثم يحيل بعض خاصته لإطلاعه على مهام الأمور التي تتطلب التعجيل ثم يغفي قليلا ويخرج للناس ومن عاداته بعد العشاء أن يصغي إلى فصول من كتب التفسير والحديث، أو كتب الأدب والتاريخ ثم تلقى عليه أخبار الإذاعة التي يتلقاها الموظف المنوط بها من أهم المحطات العربية والشرقية فيعقب عليها أحيانا تعقيبا موجزا يدل على بعد النظر وتتبع الأحوال السياسية في مشارق الأرض ومغاربها"٤١.

ويقول أيضا: " أربعة وخمسون عاما عاشها في المملكة لم يختلف في يوم منها برنامجه ونظامه إلا لطارئ من طواري الزمن، أربعة وخمسون عاما يتلى بين يديه ساعة معنية كل يوم منها فصل من التفسير، وفصل من التاريخ يختم على الأكثر بالمناقشة في أهم ما اشتمل عليه "٤٢.

وهذا البرنامج العلمي طيلة هذه السنون - ولا شك - كان كافيا لقراءة عشرات الكتب بين يديه في مختلف العلوم والفنون، وأضفى ذلك على شخصه المهيب مزيدا من الفضل والتبصر والحكمة.

والألطف والأعجب من هذا أن الملك عبد العزيز كان حتى في أسفاره قبل استعمال السيارات على هذا النهج - إذ كانوا يسافرون على الإبل والخيول - شديد الحرص على اصطحاب العلماء ليقرءوا عليه فصولا ضافية من كتب التراث الإسلامي، فمما يرويه سمو الأمير طلال بن عبد العزيز قال: يسيح الأربيون فيحملون في حقائبهم الكتب التي تروق لهم مطالعتها في ساعات السفر، وكذلك كان موكب والدي وهو يقطع تلك الفيافي ومعه الكتب الدينية والأدبية والتاريخية يطالعونها في النهار وفي الليل، أجل تراهم يسمرون في السرى فإذا ما طال الليل سمع عبد العزيز ينادي:

---

٣٧ متفق عليه: رواه البخاري في كتاب العلم حديث (71)، ومسلم في كتاب الزكاة (1037).
٣٨ تاريخ نجد 2 / 139 لحسين بن غنام.
٣٩ مع عاهل الجزيرة ص 49 و 57.
٤٠ توحيد المملكة ص 318
٤١ مع عاهل الجزيرة ص 52
٤٢ مع عاهل الجزيرة ص 43.

"العجيري"٤٣.
وقد يكون "راوية نجد" معتزلا الركب كما هي عادته فيكرر أحد الرجال قول الوالد "يا عجيري تقدم" فيحث الراوية راحلته ويدنو من الوالد فيسلم ويشرع يقرأ، أجل إنك إن كنت لا تراه تظنه يقرأ كتبا من كتب الأدب أو الشعر، ولكن العجيري لا يحمل كتابا، العجيري يحمل في رأسه الأغاني والكامل والبيان والتبيين وغيرها من الكتب، وبضعة دواوين من الشعر، وله صوت منشد يحسن مده حين يرفعه بالإنشاد والإلقاء.
العجيري: ماذا يبغي الإمام ؟ فصلا في مكارم الأخلاق ؟ أم فصلا في الشجاعة والإقدام ؟ أم فصلا في البر والتقوى ؟ أم فصلا في نوادر الملوك ؟ وإذا ما أخذ في القراءة أفاض.. وفي ساعات الإدلاج بعد أن تسري الحملة وأمامها العلم، وبجانبه راكب يحمل قنديلا يسمع الصوت ينادي:
العجيري.
فيدنو الراوية من عبد العزيز ويطفق يرتل طائفة من آي الذكر الحكيم ترتيلا جميلا متأنيا تكاد تعد معه حروفه.. ثم يؤذن المؤذن لصلاة الصبح، وبعد الصلاة تأتي القهوة ويستأنف الموكب السير، فينادي الوالد:
أين الشيخ ؟
فيلبيه أحد العلماء، ويشرع يتلو ما تيسر من القرآن، وعند الضحى يدعو ثانية أو يدعو غيره من العلماء، قارئ الرحلة مثلا، فيسلم هذا زمام راحلته إلى خادم يقودها ويتناول من حقيبته "السيرة النبوية" أو "تاريخ ابن الأثير" أو "الترغيب والترهيب" فيأخذ في القراءة ساعة أو ساعتين بصوت عال يسمعه المتقدمون والمتأخرون في الموكب.
ويظل الموكب يسير بنظام لا يخرج عليه متضامين متآزرين، كوكبة من الفرسان تتقدمه وتكاد أحيانا تغيب عن الأنظار تستكشف.."٤٤.
وكان من حرص الملك عبد العزيز على العلم والتعليم أنه كان يرسل "المطاوعة" إلى البادية وإلى الهجر التي أنشأها لتوطين البدو ليقوموا بمهمة التعليم والإرشاد، وكان ذلك جزءاً أساساً في مكافحة الجهل والأمية وتأصيل التدين بتجنيبه داء التطرف والغلو، والارتقاء في سلم التحضر والعلم٤٥.
ويمكننا القول بعد هذا أن الاحتفاء بالعلم والعلماء جزء من مسيرة البناء في سيرة الملك عبد العزيز، وأن السياسة التعليمية في المملكة منذ تأسيسها اتسمت بالخصائص التالية:
1 الاهتمام بالعلوم الشرعية لا سيما علم التوحيد في مختلف مراحل التعليم.
2 الاهتمام بالقرآن العظيم وحفاظه وهو ما تجلى فيما بعد في مدارس تحفيظ القرآن العظيم التابعة لوزارة المعارف وأيضا التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، وحلق تحفيظ القرآن الكريم التي تشرف عليها وزارة الشئون الإسلامية.
3 الاهتمام بالعلوم النظرية والتطبيقية المتعددة لمواكبة العصر، وكان من مظاهر ذلك البعثات التحضيرية للدراسة بالخارج والاستفادة من الخبرات العلمية والعملية، وأيضا استقدام العلماء للتدريس في المدارس المستحدثة بالمملكة، يوم كان هذا النوع العصري من الدراسة جديدا لم يعرفه المواطنون قبل عهد الملك عبد العزيز.
4 تشجيع مختلف العلوم والفنون النافعة والتخصصات التي تخدم الإنسان وتعلي شأن الوطن.
ومما يذكره التاريخ من بدايات التعليم النظامي في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله:
□ أنه أسس مديرية المعارف العامة عام 1344 هـ / 1926م.
□ أول بعثة تعليمية للطلاب السعوديين إلى الخارج كانت عام 1346 هـ / 1927م.
□ إنشاء معهد الرياض العلمي سنة 1370 هـ / 1950م وكلية العلوم الشرعية بالرياض سنة 1373هـ / 1953م وكان المعهد والكلية نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيما بعد٤٦.
ولا بد من وقفة للإشادة والتنويه بخاصية تكاد تنفرد بها السياسة التعليمية في المملكة من بين كثير من الدول العربية الإسلامية - وتعد من العوامل الأساسية لاستقرار المملكة - وهي خاصية التعليم الديني الشرعي الذي أرسى دعائمه الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، فلقد أثمر ذلك ثمارا يانعة، إذ يلقن الطالب منذ صباه أساس العقيدة الإسلامية، فيدرس الأصول الثلاثة التي لا يسع المسلم جهلها: معرفته ربه عز وجل، ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ودينه، وذلك منذ السنة الأولى من المرحلة الابتدائية ثم يترعرع في رياض التوحيد والعقيدة الصحيحة على اختلاف مراحل التعليم إلى المستويات العليا فينشأ نشأة دينية سوية، لا مكان فيها للتطرف

---

٤٣ هو عبد الله بن أحمد العجيري توفى سنة 1352 ه له ترجمة في جريدة أم القرى عدد 456 الجمعة 1352/5/18 ه وانظر أيضا الرحلات الملكية ص62 وما بعدها.
٤٤ صور من حياة عبد العزيز ص44 يرويها سمو الأمير طلال بن عبد العزيز، إعداد كمال الكيلاني ط 1411 ه /1990 م ط: دار الشواف للنشر - الرياض.
٤٥ انظر الوجيز ص 172 وابن سعود لكنت وليمز ص 67 مرجعان سابقان.
٤٦ انظر الموسوعة العربية العالمية 10 / 503 – 504.

الناشئ من العلم الناقص والتعلم الديني العشوائي، والزيغ المنبعث من التصورات المنحرفة لمفاهيم الدين الحنيف وأسسه ومقاصده.

فالسياسة التعليمية في المملكة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وإن لهذه التربية الدينية القويمة التي تتسم بالأصالة والوضوح آثارها العاجلة والآجلة، فمن ذلك ومما ينبغي هنا أن يذكر فيشكر أن المملكة تخلو - بفضل الله ثم بفضل سياسة التعليم الديني - من الغلو في الدين ومن العنف وتلقف المبادئ الحزبية المناوئة لمنهج الاعتدال والوسطية في الإسلام.

إن خلو المجتمع من هذه الآفات ثمرة طبيعية للتنشئة الدينية السوية منذ المراحل المبكرة فيشب الطالب وقد عرف أسس دينه وأصول الحقوق التي تجب عليه تجاه خالقه، وتجاه نفسه، ومجتمعه وأمته، وذلك بفضل الله أولا ثم بفضل التعليم الديني الشرعي الأصيل الصافي النابع من الكتاب والسنة بعيدا عن التحريف والغلو ومنذ سن مبكرة، وهذه من مآثر الملك عبد العزيز رحمه الله ومآثر سلفه أجزل الله مثوبتهم وكتب ذلك في صحائفهم.

يقول الدكتور فؤاد فارسي: "أما واضعو السياسة التعليمية السعودية فقد تدبروا النظام التعليمي السعودي من منظور آخر، فاستطاعوا التصدي لمشكلة مهمة تسود في بلدان أخرى ألا وهي مشكلة الثغرة الثقافية الناجمة عن التأكيد الشديد على التعليم العام من ناحية وإهمال التعليم الديني من ناحية أخرى، فبفضل الثقافة الإسلامية المتغلغلة في المملكة العربية السعودية استطاع النظام التعليمي السعودي تفادي المشكلة الملحة المتمثلة في صبغ التعليم بالصبغة العصرية على حساب الدين، لأن الدين يدرس في جميع المراحل التعليمية.

ويلحظ في مصر - مثلا - أن دروس الدين في مراحل التعليم الثانوي والجامعي محدود جدا، بل إن الطلاب في آخر مراحل التعليم الثانوي يدرسون الدين ولكنهم لا يمتحنون فيه ضمن الامتحانات النهائية، فترتب على ذلك إهمال الطلاب لدروس الدين وعدم الاحتفال بها، أما في المستوى الجامعي فالدين لا يدرس إلا لطلاب الجامعة الأزهرية.

والوضع في المملكة العربية السعودية يختلف عن ذلك تماما إذ يدرس الدين في مرحلة التعليم الثانوي بكل الجدية، ويعامل بما له من منزلة عليا، أما في المرحلة الجامعية فيتم تدريس الدين بقدر معقول إلى جانب الدروس الأخرى في جميع سني الدراسة، وبالنسبة لجميع الطلاب.

والدين والثقافة الإسلامية للجميع من متعلمين وغير متعلمين لأنه منهاج حياة، ولأنه يمنح الناس طمأنينة نفسية وسكينة قلب متى عرف طريقه إلى أرواحهم، وعندئذ يهون عليهم تأدية أي نشاط والتركيز التام على إنجازه، والمسلم الصحيح يبقى عميق الإيمان بدينه على الدوام، حتى ولو بلغ أعلى مراتب التعليم في الميادين المختلفة، وينبغي لنا أن نلحظ أن معظم النُّظم التعليمية في بلدان الشرق الأوسط إن لم تكن كلها هي نظم نقلت من تجارب استعمارية سابقة وهو ما يغل يد السياسات التعليمية في تلك البلدان، ولو أرادت أن تتكيف تكيفا يتفق مع احتياجاتها الوطنية لاقتضى ذلك إجراء تغيير واسع ومضن في الأوضاع والمؤسسات التعليمية، ولكن الحال في المملكة العربية السعودية مختلف من حيث أن النظام التعليمي السعودي قد استطاع تجنب كل هذه السلبيات منذ البداية الأولى، فأتاح لواضعي السياسة السعودية فرصة عظيمة لتوجيه احتياجات النظام التعليمي إلى تحقيق مطالب البلاد، هذا مع الاسترشاد بمعظم النظم التعليمية المتقدمة في العالم[٤٧].

وهذه بعض أسس ومحاور السياسة التعليمية:

□ الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

□ التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

□ الحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فاليوم عمل وحساب وغدا حساب ولا عمل.

□ الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان وتنقذ البشرية مما تردت فيه من فساد وشقاء.

□ طلب العلم فرض على كل فرد مسلم، ونشره وتيسيره في مختلف المراحل واجب على الدولة بقدر وسعها وإمكاناتها.

□ العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه، والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي.

□ الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس، والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: 92]

□ التضامن الإسلامي في سبيل جمع كلمة المسلمين وتعاونهم ودرء الأخطار عنهم.

□ شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها الله به من حراسة مقدسات الإسلام وحفاظها على مهبط الوحي، واتخاذها الإسلام عقيدة وشريعة ودستور حياة، واستشعار مسئوليتها العظيمة في قيادة البشرية وهدايتها للخير.

---

٤٧ الأصالة والمعاصرة ص 366

☐ الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد وذلك هداية للعالمين، وإخراجا لهم من الظلمات إلى النور وارتفاعا بالبشر في مجال العقيدة إلى مستوى دين الله القويم٤٨.

2 القضاء:

العدالة ثمرة الإيمان، والأمن - كذلك - ثمرة العقيدة إذ يذعن الجميع لحكم الله ويسلمون لأحكام شرعه وينقادون لأمره ونهيه، وهذه خاصية ينفرد بها القضاء في الإسلام، فالعدالة في المجتمع الإسلامي مطلب شرعي قبل أن يكون ضرورة حياتية.

وقد عبر الملك عبد العزيز رحمه الله عن هذا المطلب الأسنى بقوله: " لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلغت اللهم فاشهد "٤٩.

والمتتبع لتاريخ القضاء يجد أن التنظيم القضائي بدأ مبكرا إذ واكب تأسيس المملكة، فقد وضع الملك عبد العزيز قواعد النظم القضائي في المملكة بإصدار المرسوم الملكي بتاريخ صفر سنة 1346 ه الموافق 12 أغسطس 1927م بتشكيل المحاكم في الحجاز على ثلاث درجات هي:

محاكم الأمور المستعجلة "محاكم جزئية".

محاكم كبرى ومحاكم ملحقة وهي عبارة عن " محاكم عامة ".

هيئة المراقبة القضائية "محكمة التمييز" ولكل محكمة اختصاصاتها٥٠.

ونصت قواعد النظام القضائي على:

1 مبدأ الالتزام بالأحكام الشرعية.
2 مبدأ الاستقلال القضائي.
3 مبدأ القاضي الفرد وتعدد القضاة.
4 مبدأ إجازة الحكم بالأغلبية.
5 مبدأ تحديد الحكم بالنوع وبالأشخاص.
6 مبدأ استئناف الحكم إلى محكمة أعلى.
7 مجانية القضاء٥١.

والقضاء في المملكة متميز بخصائصه الإسلامية إذ ينبثق من أحكام الدين الحنيف ويستمد استقلاله وأحكامه وسائر مبادئه من الشرع المطهر، فلا تحاكم إلى غير شرع الله، ولا مجال للقوانين الوضعية لا في الأحوال الشخصية ولا في المعاملات الأخرى ولا في غيرها من مجالات الحياة، وهذه بفضل الله ثم بعزيمة الملك عبد العزيز وأبنائه الملوك من بعده صفحة إسلامية مشرقة في تاريخ المسلمين المعاصر.

قال رحمه الله: "أنا بذمتكم وأنتم بذمتي، إن الدين النصيحة، أنا منكم وأنتم مني، هذه عقيدتنا في الكتب بين أيديكم فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنه، واسألونا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة"٥٢.

3 الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول الله تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}** [الحج: 41] مع التمكين في الأرض يقوم عباد الله الصالحون بشعيرة الحسبة على الوجه المرضي، ويتواصون بها صونا لسنن الإسلام من الاندراس وإقامة لشعائر الدين ورفعا من شأنه بتقوية وازع الدين والضمير وبالاستعانة بهيبة السلطان.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث:

أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه.

ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه.

صابرا على ما جاءه من الأذى.

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه، وأيضا يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه"٥٣.

فالشيخ - رحمه الله - بهذه الكلمات القليلة يشير إلى ما قاله علماء الإسلام في الأمر

---

٤٨ الملك عبد العزيز: د. التركي ص 111 ملخصا.

٤٩ الوجيز ص 189.

٥٠ الملك عبد العزيز ووضع النظم القضائي في المملكة: د. سعود الدريب ص 55 نقلا عن جريدة أم القرى العدد 64 في 1344/9/5 ه.

٥١ انظر المرجع السابق ص 64 – 66.

٥٢ الوجيز ص217.

٥٣ تاريخ نجد 2 / 207.

بالمعروف والنهي عن المنكر وشروط من يتصدى لذلك، وأصول تغيير المنكر ومقاصده، هذا ما يتعلق بالحسبة. وكذلك الدعوة إلى الله تعالى فإن رسالة المسلم في الحياة إيصال الخير للغير والعمل على إعلاء كلمة الله بالأسلوب الحكيم والسمت الرزين، وسبيل الدعوة إلى الله تعالى بين واضح فمقصد الدعوة الأجلّ: تحقيق العبودية لله تعالى، فلا يعبد في أرضه غيره، ولا يتبع في عباده غير شرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا ما كان في بؤرة اهتمام الملك عبد العزيز وهو ينهض بواجب الدعوة ويأمر بإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكّر المسلمين أن الدعوة إلى الله هي طريق الصحوة ونهضة الأمة.

قال رحمه الله: "إنني أدعو المسلمين جميعا إلى عبادة الله وحده، والرجوع للعمل بما كان عليه السلف؛ الصالح لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بما كان عليه السلف الصالح لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه، إن المسلمين لا يرقون ولا ينهضون بالبهرجة والزخارف، إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والضلالات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله الكريم"٥٤.

ويمكننا استشفاف بعض المعالم لمنهج الملك عبد العزيز في الدعوة إلى الله من خلال قوله رحمه الله: "أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ولنشره بين الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين، أما ما كان غير موجود فيها فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين"٥٥.

* فالبدء بالعقيدة التي لها الأولية والأهمية في سلم التدرج مرتكز الدعوة ومقصودها الأول والأجلّ.

* وتوحيده تعالى في العبادة هو الأصل والأساس فلا إله غيره ولا رب سواه.

* والعودة إلى المعين الصافي والحياة الإسلامية السوية كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضوان الله تعالى عليهم مطلب شرعي، ويقتضي ذلك طرح البدع، وما زيد في الدين وليس منه مما أبانه الأئمة المهديون والعلماء الربانيون.

ومن سمات منهجه - رحمه الله - في الدعوة إخلاصه لدينه وأمته وتفانيه في خدمة هذا المبدأ العظيم، قال رحمه الله: " إنني أفخر لكل من يخدم الإسلام ويخدم المسلمين وأعتز بهم بل أخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم، إنني أمقت كل من يحاول الدس على الدين وعلى المسلمين ولو كان من أسمى الناس مقاما وأعلاهم مكانة"٥٦.

ولم تكن الشواغل مهما كانت تصده عن الجهر بكلمة الحق لا سيما ما يتعلق بالعقيدة فالملك صاحب رسالة، ومن الأمثلة الكثيرة الدالة على غيرته الدينية، ما يذكره في اجتماع الملك عبد العزيز بالملك فيصل بن الحسين، أراد فيصل تأكيد أمر فقال وحياة رأسك، فنظر إليه الملك عبد العزيز وقال: قل والله٥٧.

وفي مضمار إعداد الدعاة وتأهيلهم وهو باب من أبواب الدعوة التي نهض الملك عبد العزيز بأعبائها تجدر الإشارة إلى اهتمامه بأبناء العالم الإسلامي، والأقليات حيثما وجدت، وبشتى الوسائل المستطاعة.

ولعل من أبرز ما تجدر الإشارة إليه إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية التي يدرس بها أبناء العالم الإسلامي من أكثر من مئة دولة من كل أنحاء العالم، بدءا بالمرحلة الجامعية والدراسات العليا " الدبلوم والماجستير والدكتوراه " إضافة إلى المعاهد التابعة للجامعة، وقد أنشئت هذه الجامعة المباركة عام 1381 هـ فهي امتداد لجهوده في هذا المضمار.

وهذا عمل مبرور – ولا ريب – من أعماله الإسلامية الجليلة الأخرى التي تكتب في صحائف أعماله رحمه الله، وصحائف أبنائه الملوك البررة الذين ساروا على دربه: سعود وفيصل وخالد رحمهم الله جميعا، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بارك الله في عمره ومتع به المسلمين آمين.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئا" عن أبي هريرة رضي الله عنه٥٨.

وعودا على بدء "فإن الملك عبد العزيز رحمه الله اهتم بالدعوة الإسلامية وحارب البدع والخرافات وكان ذلك هو الخط المتواصل الذي نهجته الدولتان السعوديتان الأولى والثانية"٥٩.

الأصل الثالث - الوحدة:

---

٥٤ مع عاهل الجزيرة العربية ص 19.
٥٥ الملك الراشد ص 371 ومع عاهل الجزيرة العربية ص 19.
٥٦ مع عاهل الجزيرة العربية ص 19.
٥٧ الوجيز ص 185.
٥٨ رواه مسلم في كتاب العلم (2674) والترمذي في كتاب العلم (2674 ترقيم أحمد شاكر، وأبو داود في كتاب السنة (3993) وأحمد في مسند المكثرين (8795).
٥٩ الموسوعة العربية العالمية 16 / 97.

وحدة المجتمع وتماسكه ثمرة من ثمار العقيدة الوازعة والشريعة الحافزة، وفي ظل أحكام الشريعة الغراء تذوب العنصريات وتتلاشى النعرات الجاهلية، وينقاد الجميع لسلطان الدين، وتتوافر إثر ذلك العزائم والهمم وتتوجه نحو البناء والتكامل والتعاضد.

ذلك ما كان يصبو إليه الملك عبد العزيز وهو يعمل في إخلاص لتوحيد أجزاء البلاد، ولينعم المسلمون كافة بالأمن الوارف والعيش الرغيد والعون المتواصل وهم ييممون وجهتهم صوب الحرمين الشريفين للحج أو العمرة أو الزيارة..

يقول سمو الأمير طلال بن عبد العزيز:

"كانت أعمال عبد العزيز بعد توحيد الكلمة في نجد توجه بها إلى توسعة النهضة لتشمل سائر أرجاء البلاد وليس ذلك بقليل، بيد أن الدوائر السياسية التي كانت تسود الحجاز في ذلك العهد لم تكن على علم بالإصلاح الاجتماعي الكبير الذي تنطوي عليه نفس عبد العزيز الطامحة، أما هو فيعرف ما يريد، إنه كان قد خطط له وعزم على تنفيذه منذ أن فتح مدينة الرياض: جمع هذه الأمة تحت لواء واحد وإعادة الإسلام إلى جوهره الناصع وروحه الصافية، ففي أوائل ربيع الثاني سنة" 1343هـ" كان عبد العزيز يتأهب لمسيرته إلى الحجاز، وكان يتحدث إلى مودعيه ويقول: "ما أنا ذاهب للتسلط على البلاد وأهلها، لأن البلاد بلادي والأهل أهلي، وما أنا بينهم إلا داعيا بالأعمال قبل الأقوال، داعيا إلى توحيد الكلمة وجمع الصفوف ولم الشعث وإعادة الناس إلى فطرة الإسلام الصافية ومثلها العليا، وهذه البلاد بلاد مقدسة وهي لجميع المسلمين مفتوحة الأبواب لا فرق فيها بين مسلم ومسلم"٦٠.

ومن ثم فإن وحدة البلاد أساس وطيد من أسس النهج الراشد الذي سلكه الملك عبد العزيز، ومما يذكره في الوحدة الوطنية تسمية المملكة بعد توحيد أجزائها بـ "المملكة العربية السعودية" بموجب المرسوم الملكي في 1351/5/17 هـ٦١.

وعمل بذلك اعتبارا من 1351/5/21هـ الموافق 22 سبتمبر 1932م وهو اليوم الوطني للمملكة، وكانت من قبل تعرف ب " المملكة الحجازية النجدية وملحاقتها"٦٢.

الأصل الرابع - البيعة:

في الحديث النبوي الشريف: "الإمام جنة يتقى به ويقاتل من ورائه"٦٣.

البيعة والإمامة لا بد منهما كي تستقيم الحياة ويستتب الأمن وتنهض العزائم للعمل والبناء، وقبل ذلك كي تستمكن العقيدة وتطبق الشريعة وتؤازر الدعوة، وتتحقق الوحدة، وتتحقق المصالح الدينية والدنيوية.

قال الإمام الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع"٦٤.

وقال ابن حزم في كتابه الفصل وهو كتاب في العقائد: "اتفق جميع أهل السنة على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة"٦٥.

ولقد كانت البيعة للإمام على الطاعة والولاء والوفاء عقدا شرعيا منذ أن أسس النبي صلى الله عليه وسلم دولة الإسلام الأولى، قال الله تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}** [الفتح: 18].

قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع الطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان"٦٦.

وعلى هذه البيعة مضت الخلافة الراشدة ومن جاء من بعدهم لتحقيق مناط البيعة وهو تحكيم الشريعة الإسلامية.

إن وجوب البيعة ووجوب الوفاء بها من مبادئ النظام السياسي في الإسلام، وهو أمر بدهي لانتظام شئون الدولة الإسلامية وقيام الميثاق والعهد بين الحاكم وشعبه، وهذا نموذج للبيعة التي أحياها الملك عبد العزيز وسارع إليها شعبه في محبة وولاء:

تسلم الملك عبد العزيز مقاليد الحكم والإمامة بعد أن تنازل والده الإمام في اجتماع كبير عقد بالمسجد الكبير بالرياض بعد صلاة الجمعة عام 1320 هـ / 1902م وظل الأب يشرف على أعمال ابنه طوال حياته، وظل الابن يجل والده ويقدر آراءه ويحترمها٦٧.

---

٦٠ صور من حياة عبد العزيز ص 41 – 51.

٦١ الموسوعة العربية العالمية 10 / 500.

٦٢ المرجع السابق 16 / 96 والوجيز ص158.

٦٣ متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الجهاد (2957) ومسلم في كتاب الإمارة (1841).

٦٤ الأحكام السلطانية ص 5 ط: مكتبة البابي الحلبي 1393ه/ 1973م.

٦٥ الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل 4 / 87 ط: الخانجي 1321 ه مصر.

٦٦ متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الفتن (7056)، ومسلم في كتاب الإمارة (1709) واللفظ للبخاري.

٦٧ الموسوعة العربية العالمية 16 / 95.

"وفي يوم الجمعة 23 جمادى الثانية 1344ه الموافق 8 كانون الثاني سنة 1926م تجمع الناس حول باب الصفا خارج المسجد الحرام وداخله، حيث أعد المكان الخاص لتلاوة نص البيعة، وبعد صلاة الجمعة أتى ابن سعود المكان المذكور ثم ألقى فضيلة الشيخ عبد الملك بن مرداد على الجماهير المحتشدة هذه الكلمة:

"أحمد الله رب هذا البيت المعظم، وأشكره على ما أنعم به وتكرم، فقد من علينا بنعم لا تحصى، ومنن لا تستقصى، حيث أبدل خوفنا أمنا وشدتنا رخاء.

توحدت الكلمة وأجمع الرأي على بيعة عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بالملك علينا، وتفضل بقبول هذه منا بعد أن طلبنا منه ذلك، وإني أتلو عليكم أيها الإخوان الحاضرون نص وثيقة البيعة التي جرى الاتفاق عليها:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على أن تكون ملكا على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله".

وبعد أن أتم فضيلة الشيخ تلاوة هذه البيعة وتقبلها جلالة الملك تقدم الحاضرون من الناس أفرادا وجماعات عن جميع المملكة إلى جلالته يبايعونه بالملك ويعاهدونه على السمع والطاعة[٦٨].

---

٦٨ الملك عبد العزيز: د. التركي ص 55 نقلا عن الملك الراشد ص 43 – 44.